مصنفات فضائل مدينة بغداد

Compilations of the virtues of the city of Baghdad

رائد عبد السلام خلف صالح
ا.د. شكيب راشد ال فتاح
أستاذ
جامعة الموصل – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم التاريخ

Raed Abdel Salam Khalaf Saleh
Dr. Shakib Rashid Al Fattah
professor
University of Mosul - College of Education for Human Sciences - Department of History

read.23ehp75@student.uomosul.edu.iq
Shakeepalfattah1975@uomosul.edu.iq

الكلمات المفتاحية: مصنفات، فضائل، يزدجر، بغداد، المعتضد.

Keywords: Workbooks, Virtues, Yazdajir , Baghdad, Al-Mu'tadid.

الملخص

يعد موضوع مصنفات التراث الإسلامي من المواضيع التي تفتح مجالات عديدة لفهم الثقافة العربية الإسلامية وروح العصر الذي يتسم به عصر المصنفات، لذلك جاءت فكرة عرض مصنفات فضائل بغداد للكشف عن دوافع التأليف في الدرجة الأولى، فضلا عن مصنفي هذا النوع من الكتب ومعرفة عدد الكتب التي صنفت عن فضائل بغداد، كذلك الكشف عن طبيعة تلك المصنفات من كونها ذات مضامين خططية او عمرانية ام مضامين لتراجم من دخل وسكن وحدث في بغداد مثل ما فعل الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) وابن عساكر (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) بما يخص دمشق، لقد توصل البحث الى تحديد ٣ عناوين لمصنفات تحمل عنوان (فضائل بغداد) من اصل ١٤٧٧٧ عنوان ورد عند حاجي خليفة في كتاب كشف الظنون كنموذج لمعاجم المصنفات في حين كل ما وصلنا من تلك المصنفات هو كتاب واحد ليزدجر الكسروي بعنوان (فضائل بغداد).

Summary

The subject of Islamic heritage works is one of the topics that opens many areas for understanding Arab-Islamic culture and the spirit of the era that characterizes the age of works. Therefore, the idea of presenting Compilations of the virtues of Baghdad to reveal the motives for writing in the first place, in addition to the compilers of this type of books and

knowing the number of books that have been classified on the virtues of Baghdad, as well as revealing the nature of these works, whether they have planning and urban contents or contents for the biographies of those who entered, resided, and happened in Baghdad, as Al-Khatib Al-Baghdadi did (463 AH / 1070 AD) and Ibn Asakir (d. 571 AH / 1175 AD) Concerning Damascus, the research identified 3 titles for works titled (The Virtues of Baghdad) out of 14,777 titles mentioned by Haji Khalifa in Kashf al-Zunun, while all we have received from those works is one book by Yazdger al-Kisravi entitled (The Virtues of Baghdad).

المقدمة

تعد بغداد من اهم المدن الإسلامية على مر العصور منذ تأسيسها على يد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٥-٧٧٤م)، حيث أصبحت خلال العصر الذهبي للإسلام مركزا علميا وثقافيا مزدهرا حيث احتضنت العديد من العلماء والمفكرين في شتى فروع العلم بالإضافة الى ان بغداد كانت مركزا لأصحاب المذاهب الإسلامية، وظهر منها عدد كبير من المحدثين والفقهاء.

ان أهمية البحث تكمن في ابراز المصنفات الخاصة بفضائل مدينة بغداد واثار واعمال مصنفين تلك المصنفات الذين عاشوا في بغداد وارتبطوا بها او قدموا اليها وتكمن أهداف البحث في احصاء عناوين هذه المصنفات التي معظمها لم يصل الينا ولا نعلم على ماذا تحتوي هل هي بجانب عمراني او خططي ام بجانب التراجم الخاصة بعلماء الحديث الشريف في هذه المدينة.

وقد كانت خطة البحث تتمثل بما يأتي:

أولا: مصنفات تاريخ مدينة بغداد وفضائلها.

ثانيا: مصنفات بعنوان فضائل مدينة بغداد وهي ثلاث مصنفات:

١- فضائل بغداد – احمد بن الطيب السرخسي (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م).

٢- فضائل بغداد وصفاتها – ليزدجرد بن مهينداذ الكسروي توفي في حدود سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م)

٣- فضل بغداد – أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري (ت٤١٠هـ/١٠٢٠م)

أولا: مصنفات تاريخ مدينة بغداد وفضائلها:

جاءت تسمية بغداد مختلفه التركيب بين معاجم اللغة وكتب البلدانيات حيث أطلق عليها أسماء كثيره قال ابن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م) ((بغداد وبغداذ وبغذاد بغذان بالنونِ ومغدان بالميم معرب يذكر ويؤنث مدِينة السلام بغذذ بغذاذ مدِينة السلام وفِيها اختلاف ذكر في بغدذ)) (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج٣/ص٤٧٨)، وقد فسر هذا الاختلاف ياقوت (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) بقولة: ((ويأبى أهل البصرة ولا يجيزون بغداذ في آخره الذال المعجمة، وقالوا:

لأنه ليس في كلام العرب كلمة فيها دال بعدها ذال)) (ياقوت،١٩٩٥م، ج١/ص٤٥٦)، قال ابن الانباري (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) ((فمن العرب من يقول: بغدان بالباء والنون وبعضهم يقول: بغداد بالباء والدالين وهاتان اللغتان هما السائرتان المشهورتان، وسميت مدينة السلام، لمقاربتها دجلة وكانت دجلة تسمى قصر السلام)) (أبو بكر الانباري ،١٩٩٢م، ج٢/ص٣٨٦).

وقال أيضا ياقوت في رواية ان أصل تسمية بغداد بمدينة السلام هو فارسي بقولة: ((قال حمزة بن الحسن: بغداد اسم فارسي معرب عن باغ داذويه لأن بعض رقعة مدينة المنصور كان باغا لرجل من الفرس اسمه داذويه وبعضها أثر مدينة دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطها فاعتل فقالوا: ما الذي يأمر الملك أن تسمى به هذه المدينة فقال: هلدوه وروز أي خلوها بسلام فحكي ذلك للمنصور (١٣٣-١٥٨هـ/٧٥٠-٧٧٤م) فقال: سميتها مدينة السلام)) (ياقوت، ١٩٩٥م، ج١/ص٤٥٦).

واصل كلمة بغداد مقسمة الى مقطعين " بغ " و " داد " وقال توفيق وهبي ((ان " بغ " جاءت من الكلمة الهندية الإيرانية " بهتگ " التي يرجع تاريخها الى الالف الثالث قبل الميلاد فأنها كانت شائعة بين الاقوام الهندية – الإيرانية في العصر الذي كانوا يسكنون فيه معا)) (وهبي، ١٩٥٠م، ص٧).

وقال أيضا وهبي عن أصل كلمة " داد " ((داد من المصدر " دا " وهذا المصدر معروف في فصيلة اللغات الهندية – الاوربية)) (وهبي، ١٩٥٠م، ص٢٥). وفي روايات ياقوت الحموي أيضا،

قال أهل الحيرة للمثنى (١٤هـ/٦٣٤م) إن بالقرب منا قرية تقوم فيها سوق عظيمة في كل شهر مرة فيأتيها تجار فارس والأهواز وسائر البلاد يقال لها بغداد (ياقوت، ١٩٩٥م، ج١/ص٤٥٧).

من هذه الرواية يظهر ان اسم بغداد قديم ولم يستحدثه أبو جعفر المنصور (١٣٣-١٥٨هـ/٧٥٠-٧٧٤م)، عند بناء المدينة بل حتى ان الاسم كان متداول قبل الفتح الإسلامي للعراق، لكن تسمية مدينة السلام هي المتداولة بعد الشروع في بنائها سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م)، كذلك لا يمكن المقارنة ما بين تداول اسمها (كبغداد) ومكانتها الحضارية ما قبل الفتح الإسلامي للمنطقة وما بعده فقد أصبحت حاضرة الدنيا، وبرزت مكانتها حتى انها أصبحت من الحواضر التي كتب عنها مصنفات بما يخص فضائلها.

وموقع بغداد من الجانب الفلكي ((قال صاحب الزيج طول بغداد سبعون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلث وتعديل نهارها ست عشرة درجة وثلثا درجة وأطول نهارها أربع عشرة ساعة وخمس دقائق وغاية ارتفاع الشمس بها ثمانون درجة وثلث وظل الظهر بها درجتان وظل العصر أربع عشرة درجة وسمت القبلة ثلاث عشرة درجة ونصف وجهها عن مكة مائة وسبع عشرة درجة في الوجود ثلاثمائة درجة هذا كله نقلته من كتب المنجمين ولا أعرفه ولا هو من صناعتي)) (ياقوت، ١٩٩٥م، ج١/ص٤٥٧).

حول موقع مدينة بغداد الجغرافي قال اليعقوبي (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م) بغداد وسط العراق والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة وكبرا وعمارة وكثرة مياه وصحة وهواء (اليعقوبي، ١٤٢٢هـ، ص١١). ونذكر رواية عن كيفية اختيار المنصور لموقع بغداد ((خرج المنصور بنفسه مع خاصته يرتاد موضعا حسنا للعاصمة فتنقل من مكان الى مكان متبعا ضفاف دجلة حتى بلغ به المطاف الى موضع بغداد في جانبها الغربي فأستحسنه وامر بالبناء)) (فرنسيس، ١٩٥٩م، ص٥).

بعد ذكر اسم بغداد وموقعها سيتم عرض من صنف عن بغداد سواء من ولد فيها او خارجها ونذكر منهم أبو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م)، (ينظر: ياقوت، ١٩٩٥م، ج٥/ص١١٢). قال عنه الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ((كان أحد البلغاء الشعراء الرواة ومن أهل الفهم المذكورين بالعلم)) (الخطيب،٢٠٠٢م، ج٥/ص٣٤٥). وكان مولده ببغداد مدخل المأمون إليها من خراسان سنة أربع ومائتين وحدث عن عمر بن شبة النميري (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م) (الخطيب، ٢٠٠٢م، ج٥/ص٣٤٥). المذكور سابقا الذي أيضا له مصنف في الفضائل وأيضا له مصنف عن أبو جعفر المنصور (١٣٣-١٥٨هـ/٧٥٠-٧٧٤م) الذي بنى بغداد.

وقد قدم لنا الزركلي قائمة بمصنفاته وقال انه له نحو خمسين كتابا منها كتاب بغداد (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج١/ص١٤١). وقال الخطيب كتاب بغداد المصنف في أخبار الخلفاء وأيامهم (الخطيب، ٢٠٠٢م، ج٥/ص٣٤٥). وكتاب بغداد لابن طيفور قد ضاع مثل ما ضاعت معظم كتبه والتي توفر بعضها عند الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، والمسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، وأبو الفرج الاصفهاني (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م)، والخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، وكذلك ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، اخبار ابن النجار (ت٦٤٣هـ/١٠٧٠م)، وقد ذكرت هذه الباحثة في واجهة نشرها لهذه النصوص انه ((اول من كتب تاريخ مدينة السلام)) (طيفور، د/ت، واجهة الكتاب). وابن طيفور هذا قد عاصر الخليفة العباسي المأمون (١٧٠ – ٢١٨ هـ/ ٧٨٦ – ٨٣٣م)، خاصة في نهاية خلافته وكان يذكر في الكتاب الاحداث بأسناد وبتفصيل، ((وذكر ابنه أنه مات في ليلة الأربعاء لأربع بقين من

جمادى الأولى سنة ثمانين ومائتين ودفن في مقابر باب الشام)) (الخطيب، ٢٠٠٢م، ج٥/ص٣٤٥). وبشكل عام فان نصوص مادة كتاب ابن طيفور المجموعة تشير الى ان مادته هي تاريخ بغداد وفضائلها وانه مرجع للمصنفات التي جاءت بعده وموضوعها فضائل بغداد.

اما العالم الثاني الذي صنف عن بغداد قد يكون اهم وأشهر من ألف عن مدينة السلام وهو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٢م)، ولد في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة، يوم الخميس لست بقين من الشهر (ابن خلكان، ١٩٠٠م، ج١/ص٩٢-٩٣). وكان أبوه أبو الحسن خطيبًا بقرية درزيجان (الذهبي، ٢٠٠٦م، ج١٣/ص٤١٩)؛ (قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي منها ياقوت، ١٩٩٥م، ج٢/ص٤٥٠).

قال عنه ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): ((كان من الحفاظ المتقنين العلماء المتبحرين ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه فانه يدل على اطلاع عظيم وصنف قريباً من مائة مصنف وفضله أشهر من أن يوصف)) (ابن خلكان، ١٩٠٠م، ج١/ص٩٢).

قال عنه الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): ((سمع وهو ابن إحدى عشرة سنةً وارتحل إلى البصرة وهو ابن عشرين سنة وإلى نيسابور وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وإلى الشام وهو كهل وإلى مكة وغير ذلك وكتب الكثير وتقدم في هذا الشأن وبذ الأقران وجمع وصنف وصحح وعلل وجرح وعدل وأرخ وأوضح وصار أحفظ أهل عصره على الإطلاق)) (الذهبي، ٢٠٠٦م، ج١٣/ص٤١٩)، والحديث عن الخطيب البغدادي لا يمكن اختصاره بعدة صفحات اذ هناك الكثير من الدراسات عنه وعن كتابه تاريخ بغداد، لكن الحديث عنه في هذا الموضوع هو كون مادته هي التي تشير الى فضل المدينة من خلال ان الخطيب البغدادي كان قد ترجم لكل من عاش في بغداد او ولد فيها او مات فيها وكان من المحدثين او ممن اشتهر برواية الحديث وهذه فضيلة بمعايير الخطيب البغدادي وهو بذلك قد سبق ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) الذي فعل ما قام به الخطيب البغدادي.

بعد البحث والمتابعة لمصنفات فضائل المدن يجب ان نقول كان عدد مصنفات فضائل مدينة بغداد قليلة جدا مقارنة بعدد مصنفات فضائل المدن الكلي حيث لم نجد لبغداد سوى ثلاث مصنفات على الرغم من عظمة المدينة وما دار بها من احداث مهمة جدا وأيضا ما تعاقب عليها من سلطات حكمتها على مر العصور ومثال على ندرة مصنفات فضائل بغداد مقارنة بأقرب المدن لها، حيث ان لبغداد ثلاث مصنفات بالمقابل لمدينة الكوفة تسعة مصنفات أي ان مدينة الكوفة تفوق بغداد بضعفين وهي عاصمة الخلافة العباسية ومنارة العلم في المشرق العربي الإسلامي على مر العصور العديدة.

وقد نعزي ذلك لأسباب يعتقد الباحث ان أبرزها ما حدث في بغداد من تطورات سياسية كثيرة حدثت لاسيما في السنوات المتأخرة من الخلافة العباسية وأيضا الخلافات المذهبية التي كانت في بغداد بين الحنابلة والشافعية على سبيل المثال وقله الاهتمام بجانب الفضائل الى لذلك بالإضافة الى الكوارث الطبيعية من غرق مدينة بغداد والحوادث التي مرت عليها.

وأيضا ان السبب الأساس لظهور مصنفات الفضائل هو وجود صحابة الرسول (صلى الله علية وسلم) في تلك المدينة فكانت مدينة بغداد قد بنيت بعد انتهاء الدولة الاموية فلم تكن مدينة معاصرة للصحابة فيكونون بها مثل مكة والمدينة.

بعد ان تم عرض بعض الكتب التي كانت مادتها تاريخ بغداد وخططها وتراجم من تواجد فيها سيكون الحديث عن المصنفات التي كانت تحمل في عنوانها (فضل او فضائل بغداد)، وهذه معظمها قد ضاع مثل ضياع الكثير من التراث الإسلامي، لذلك سيكون العرض يشمل مصنف الكتاب وسيرته بما يفيد البحث وعلاقتها بالمصنف الخاص بفضائل بغداد وهي على النحو التالي:

ثانيا: مصنفات بعنوان فضائل مدينة بغداد:

١- كتاب فضائل بغداد لأحمد بن الطيب السرخسي (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م).

فهو أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي (ابن النديم، ١٩٧١م، ص٣٢٠). يعرف بابن الفرانقي (ياقوت، ١٩٩٣م، ج١/ص٢٨٧). هذا كل ما توفر عن اسمة ونسبة وقال ياقوت عنة (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ((أحد العلماء الفهماء المحصلين الفصحاء البلغاء المتقنين له في علم الأثر الباع الوساع وفي علوم الحكماء الذهن الثاقب الوقاد وبسطة الذراع)) (ياقوت، ١٩٩٣م، ج١/ص٢٨٧). اما عن ولادته لم نجد معلومات كثيره حول تاريخ ولادته فقط قال الزركلي: ((ولد في سرخس (مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، ينظر: ياقوت، ١٩٩٥م، ج٣/ص٢٠٨). من نواحي خراسان)) (الزركلي،٢٠٠٢م، ج١/ص٢٠٥). دون الإشارة الى مصدره ويبدو ان شهره السرخسي دفعه الى هذا الاستنتاج.

وعن شيوخه في الحقيقة هو لم يكن راوي للحديث كما أسلفنا سابقا بل هو عالم وفيلسوف قال ابن النديم (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م): ((ممن ينتمي إلى الكندي (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي فيلسوف العرب والإسلام في عصره، ينظر: الزكلي، ٢٠٠٢م، ج٨/ص١٩٥). وعليه قرأ ومنه أخذ)) (ابن النديم، ١٩٧١م، ص٣٢٠). وقال ياقوت: ((هو تلميذ الكندي)) (ياقوت، ١٩٩٣م، ج١/ص٢٨٧). وقد اتفقت اغلب المصادر على ذلك.

ولكن نجد عند ابن العديم (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م) انه كان قد ((حدث عن أبي عبد الله أحمد بن حمدون بن اسماعيل النديم، وابن حبيب، وعمر بن شبة، وأبي جعفر محمد بن موسى، ومحمد بن يزيد الثمالي، وعبد الله بن هارون الواثق بن المعتصم، وأبي الخطاب ابن محمد بن الحسين بن الحسن بن عمران الطائي، وأبي عبد الله الحسين بن علي ابن طاهر ذي اليمينين، ويعقوب بن اسحاق الكندي)) (ابن العديم، د/ت، ج٢/ص٣٣٥).

وما يخص تلاميذه فقد انفرد ابن العديم أيضا بذكرهم وهم ((أبو حامد أحمد بن جعفر الأشعري، وأحمد بن اسحاق بن إبراهيم الملحمي، وجحظة البرمكي، والحسن بن علي الخفاف، والحسن بن محمد الأموي عم أبي الفرج الأصبهاني، وأبو بكر محمد بن أبي الأزهر، وأبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي)) (ابن العديم، د/ت، ج٢/ص٣٣٥-٣٣٦).

اما مصنفاته فقد صنف الكثير خاصة في مجال العلوم العقلية كالفلسفة والموسيقى والفلك ويأتي ذكر مصنفاته بالشكل التالي (كتاب مختصر قاطيغورياس)، (كتاب مختصر كتاب بارميناس)، (كتاب مختصر كتاب أنالوطيقا الأولى)، (كتاب مختصر كتاب أنالوطيقا الثاني)، (كتاب الأعشاش وصناعة الحسبة الكبير)، (كتاب عش الصناعات والحسبة الصغير) (ابن النديم، ١٩٧١م، ص٣٢١).

(كتاب نزهة النفوس ولم يخرج بأسره) (ابن النديم، ١٩٧١م، ص٣٢١). وهنا إشارة ان الكتاب حتى في ذلك العصر لم يخرج بالكامل وكان ناقصا، (كتاب اللهو والملاهي في الغناء والمغنيين والمنادمة والمجالسة وأنواع الأخبار والملح)، صنفه للمعتضد (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج١/ص٢٠٥). ((وقال أحمد بن الطيب في كتابه هذا أنه صنف هذا الكتاب وقد مر له من العمر إحدى وستون سنة)) (ابن ابي اصيبعه، د/ت، ص٢٩٤). (كتاب السياسة الكبير)، (كتاب السياسة الصغير)، (كتاب المدخل إلى صناعة النجوم)، (كتاب الموسيقى الكبير مقالتان ولم يعلم مثله حسناً وجلالة) (ابن النديم، ١٩٧١م، ص٣٢١). ولم ترد الإشارة الى محتوى هاتين المقالتين فقط قيل انهما حسان، (كتاب الموسيقى الصغير)، (كتاب الأرثماطيقى في الأعداد والجبر والمقابلة)، (كتاب المسالك والممالك)، ((ووقفت على كتاب المسالك والممالك من تصنيف أحمد بن الطيب وقد أوردت منه فوائد في صدر كتابنا هذا في ذكر البلدان المتعلقة بحلب)) (ابن العديم، د/ت، ج٢/ص٣٣٨). (كتاب الجوارح والصيد بها)، (كتاب المدخل إلى صناعة الطب نقض فيه على حنين بن اسحق)، (كتاب المسائل)، (كتاب الطبيخ ألفه على الشهور والأيام للمعتضد)، (كتاب زاد المسافر وخدمة الملوك مقالتان لطيف) (ابن النديم، ١٩٧١م، ص٣٢١).

((وقع الى كتاب صنفه أحمد بن الطيب السرخسي ووسمه بزاد المسافر ذكر فيه وصية المسافر وخدمة الملوك وهو كتاب كتبه الى بعض إخوانه وقد أراد سفرا لخدمة بعض الملوك فوجدته كتابا حسنا جامعا لوصايا نافعة من كلامه وكلام غيره)) (ابن العديم، د/ت، ج٢/ص٣٣٧).

(كتاب المدخل إلى علم الموسيقى)، (كتاب آداب الملوك)، (كتاب الجلساء والمجالسة)، (كتاب رسالته في جواب ثابت بن قرة فيما سئل عنه)، (كتاب مقالته في النمش والكلف)، (كتاب رسالته في المساكين وطريف اعتقاد العامة)، (كتاب منفعة الجبال)، (كتاب رسالته في وصف مذاهب الصابئين)، (كتاب في أن المبدعات في حال الإبداع لا متحركة ولا ساكنة)، (فضائل بغداد وأخبارها) (ابن النديم، ١٩٧١م، ص٣٢١). وهذا الكتاب الوحيد الذي كان في موضوع الفضائل والغالب ان الكتاب ألف للخليفة المعتضد (٢٤٢- ٢٨٩هـ/ ٨٥٦-٩٠٢م) في حين نجد من خلال ما مر من مصنفاته لم يصنف أي شيء حول كتب المدن والبلدانيات الا هذا المصنف وعلى الأرجح انه صنف الكتاب بطلب من الخليفة

المعتضد لكي يظهر فضل بغداد وسوف يأتي ذكر علاقة احمد بن الطيب بالخليفة المعتضد لاحقا بتفصل أكثر، وقد قال التنوخي: ((وذكر غيري كتابا ألفه أحمد ابن الطيب في مثل هذا)) (التنوخي، ١٣٩١هـ، ج١/ص١٢٩). وهنا يشير الى كتاب فضائل بغداد وصفتها ليزدجرد بن مهينداذ الكسروي الذي سيمر ذكره في نهاية مصنفات بغداد لعدم التكرار.

(ادب النفس)، (رسالة الجزء الذي لا يتجزى)، (رسالة في الخضابات المسودة للشعر)، (رسالة السالكين واعتقادهم)، (سيرة الإنسان)، (كتاب في أحداث الجو)، (كتاب أركان الفلاسفة)، (كتاب في ألفاظ سقراط)، (كتاب انالوطيقا)، (كتاب برد أيام العجوز)، (كتاب حسن الصناعة والحسبة الصغيرة)، (كتاب الرد على جالينوس)، (كتاب الشطرنج)، (كتاب العشق)، (كتاب العقل)، (كتاب الفال)، (كتاب في القوانين العامة)، (كتاب القيان) (الباباني، ١٩٥٥م، ج١/ص٥٣).

كتاب في كون الضباب)، (كتاب ماهية النوم والرؤيا)، (كتاب المدخل إلى علم النجوم)، (كتاب الوحدة الإلهية)، (كتاب وصايا فيثاغورث) وغير ذلك من الاختصارات لكتب المتقدمين (الباباني، ١٩٥٥م، ج١/ص٥٣). (كتاب الشاكين وطريق اعتقادهم)، (كتاب في رحلة المعتضد إلى الرملة بفلسطين لحرب خمارويه)، نقل عنه ياقوت في معجم البلدان كثيرا من أسماء البلاد ونعوتها (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج١/ص٢٠٥). أي ان هذا المصنف كان متوفر في عصر ياقوت وفقد فيما بعد.

(اختصار كتاب أيساغوجي لفرفوريوس)، (كتاب في وحدانية الله تعالى)، (كتاب في الفرق بين نحو العرب والمنطق)، (كتاب في أن أركان الفلسفة بعضها على بعض وهو كتاب الاستيفاء)، (رسالة إلى ابن ثوابة)، (كتاب في أن الجزء ينقسم إلى ما لا نهاية له)، (كتاب فِي أَخلاق النفس)، (كتاب إلى بعض إخوانه في القوانين العامة الأولى في الصناعة الديالقطيقية أَي الجدلية على مذهب أرسطوطاليس)، (اختصار كتاب سوفسطيقا لأرسطوطاليس) (ابن ابي اصيبعة، د/ت، ص٢٩٤– ٢٩٥).

ويلاحظ ان له خمس وستين مصنف سبع منها كانت موزعه على رسائل وثلاثة مقالات والمصنفات الأخرى مقسمة بين علوم الفلسفة والرياضيات والموسيقى والمنطق والفلك ولم يذكر له أي مصنف في العلوم الدينية وهذا ما يجعلنا نتحفظ على ماورد عند ابن العديم بان له عدد من شيوخ الحديث اخذ منهم.

اما مذهبه لم يذكر أي مصدر شيء حول مذهبه او دلاله عن ديانته ولكن له مؤلفين (رسالة في وصف مذاهب الصابئيين) [٢] (ابن النديم، ١٩٧١م، ص٣٢١). (كتاب في وحدانية الله) (ابن ابي اصيبعة، د/ت، ص٢٩٤– ٢٩٥). بهذا نرجح انه قد يكون هو من الصابئيين لأنهم يعتقدون انهم موحدين.

وعن علاقته بالسلطة العباسية فقد كان مؤدبا للمعتضد (٢٤٢ – ٢٨٩هـ/٨٥٦ – ٩٠٢م) ثم نادمه وخص به وكان ((يفضي إليه بأسراره ويستشيره في أمور مملكته وكان الغالب على أحمد بن الطيب (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م)، علمه لا عقله)) (ابن النديم، ١٩٧١م، ص٣٢٠). وقد ذكر ابن العديم تفاصيل مهمة اذ قال: ((وقدم حلب صحبة أبي العباس المعتضد حين قدمها في حياة أبيه لمحاربة خمارويه ابن أحمد بن طولون في سنة احدى وسبعين ومائتين؛ ووقفت على نسخة ذكر مسير أبي العباس لهذه الوقعة منذ خرج من بغداد الى أن عاد إليها في كتاب سيرة المعتضد تأليف (سنان بن ثابت)، وذكر أنه نقله من خط أحمد بن الطيب، وذكر فيه دخوله حلب، وذكر صفة المدينة وتسمية أبوابها وصفة قلعتها)) (ابن العديم، د/ت، ج٢/ص٣٣٦).

بهذا النص يظهر ان علاقة احمد بن الطيب(ت٢٨٦هـ/٨٩٩م)، مع الخلفاء العباسيين كانت من قبل زمان الخليفة المعتضد من عصر والده ويظهر أيضا انه دون هذه الرحلة بالكامل ويذكر في النص أيضا انه دون اوصاف مدينة حلب خلال دخوله اليها، وعلى الرغم من فقدان كتاب (فضائل بغداد)، الا ان الترجيح الكبير بان اهم دوافع التصنيف هي علاقة السرخسي مع الخليفة المعتضد، وان الأخير كان يدعوا الى مثل هذا التوجه في التصنيف وهذا ما سيتم التفصيل به لاحقا من خلال وجود اكثر من مصنف بعنوان (فضائل بغداد) في عهد المعتضد.

اما عن المناصب التي تولاها احمد بن الطيب في عهد الخليفة المعتضد (٢٤٢- ٢٨٩هـ/ ٨٥٦-٩٠٢م)، جاء ذلك بنص كامل عند ياقوت (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) في معجم الادباء انه ((ولي احمد بن الطيب الحسبة يوم الاثنين والمواريث يوم الثلاثاء وسوق الرقيق يوم الأربعاء لسبع خلون من رجب سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وفي يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين غضب المعتضد على أحمد بن الطيب، وفي يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الأولى ضرب ابن الطيّب مائة سوط وحول إلى المطبق)) (ياقوت، ١٩٩٣م، ج١/ص٢٨٧). وسوف يأتي ذكر غضب المعتضد عليه عند ذكر وفاة احمد بن الطيب، وحول صحة النص قال المحقق الدكتور احسان عباس في الهامش ان هذا النص وترجمة احمد بن الطيب في تاريخ دمشق قد ضاعت ولا اعلم من كان قد وضع النص هو ام ياقوت (ينظر: ياقوت، ١٩٩٣م، ج١/ص٨٨).

من النص أعلاه يظهر مدى علاقة وثقة الخليفة المعتضد بأحمد بن الطيب لكي يتسلم كل هذه المناصب ان ذاك وقد تولاها وهو في نهاية العمر كما ذكر سنة (٢٨٣هـ/٨٩٦م) وهو قد قتل سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م) على يد المعتضد نفسه.

واما وفاته فقد جاءت بروايتين نقل الأولى ابن النديم (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) ((كان سبب قتل المعتضد إياه اختصاصه به فإنه أفضى إليه بسر يتعلق بالقاسم بن عبيد الله وبدر غلام المعتضد فأفشاه وأذاعه بحيلة من القاسم عليه مشهورة فسلمه المعتضد إليهما فاستصفيا ماله ثم أودعاه المطامير فلما كان في الوقت الذي خرج فيه المعتضد لفتح آمد وقتال أحمد بن عيسى بن شيخ أفلت من المطامير جماعة من الخوارج وغيرهم والتقطهم مونس الفحل وكان إليه الشرطة وخلافة المعتضد على الحضرة وأقام أحمد في موضعه ورجا بذلك السلامة فكان قعوده سبباً لمنيته)) (ابن النديم، ١٩٧١م، ص٣٢٠-٣٢١).

هنا يظهر ان الخليفة المعتضد حقد عليه بسبب هذه الحادثة او هذا السر ليكون سبب قتله ويقول ابن النديم انها حادثه مشهورة ولكن لم يتم تداولها في المصادر فلعلها وصلت لابن النديم ان ذاك في عصره ولعل الامر خاص جدا لتكون عاقبته الموت ويظهر أيضا تخلي لخليفة المعتضد عن نادمه وصاحبه ومعلمة وتسليم مصيره بيد شخص يقال له القاسم بن عبيد الله ولم نجد شيء حول هذا الشخص، ويمكن ان نقول ان علاقته بالسلطة الحاكمة افضت الى مقتله.

اما الرواية الثانية اقل تفاصيل لكن نتيجتها القتل أيضا اذ ورد في الفهرست: ((وأمر المعتضد القاسم بإثبات جماعة ممن ينبغي أن يقتلوا ليستريح من تعلق القلب بهم فأثبتهم فوقع المعتضد بقتلهم فأدخل القاسم اسم أحمد في جملتهم فيما بعد فقتل وسئل عنه المعتضد فذكر له القاسم قتله)) (ابن النديم، ١٩٧١م، ص٣٢٠-٣٢١).

ان هذه الرواية التي جاء بها ابن النديم واخذت عنه المصادر الأخرى مثل ما أوردها ياقوت (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ولكنها مختلفة بالكامل من حيث السياق ومضمون ((قيل إن السبب في قتل أحمد بن الطيب دعاؤه للمعتضد إلى مذهب الفلاسفة والخروج عن الاسلام فاستحل قتله فلما أجمع على قتله أنفذ إليه أنت كنت عرفتنا عن الحكماء أنهم قالوا لا يجب للملوك أن يغضبوا فإذا غضبوا لا يجب لهم أن يرضوا ولولا هذا لأطلقتك لسالف ذمتك وخدمتك ولكن اختر أي قتلة تحب أن أقتلك)) (ياقوت، ١٩٩٣م، ج١/ص٢٨٨-٢٨٩).

والمتابع لسيرة الخليفة المعتضد يجد انه كان يهتم كثيرا بمصنفات عصره، ويتابع ما يصنف ويصدر الأوامر في توجيه مواضيعها ففي ((أول سنة استخلف فيها منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة ومنع القصاص والمنجمين من القعود في الطريق)) (السيوطي، ٢٠٠٤م، ص٢٦٩). ونستنتج من ذلك ان السرخسي كان قد صنف كتاب (فضائل بغداد)، بعد سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م) السنة التي تولى فيها المعتضد الخلافة على اعتبار ان موضوعه من المواضيع التي تنال استحسان الخليفة المعتضد وان غضبه عليه كان بسبب مصنفاته في الفلسفة والتنجيم ولعل من مصنفاته بهذه المواضيع ((كتاب العقل))، ((كتاب اركان الفلسفة))، ((كتاب المدخل الى علم النجوم)) (الباباني، ١٩٥٥م، ج١/ص٥٣).

ان الروايتين بما يخص مقتل السرخسي تشير الى تغيير في سلوكه رغم ان الروايتين عن موته مختلفتان كليا عن بعض لاسيما ان احمد بن الطيب هو فيلسوف ودلاله ذلك مصنفاته وانه قد يفعل مثل هذا الامر والدعوة لمذهب الفلاسفة كونه مؤدب وقريب جدا من الخليفة وقد اخذ الخليفة المعتضد يحاجج السرخسي بقول الحكماء وانه لو لا قولهم لاطلق سراحه ولكن استنادا لما علمه إياه احمد بن الطيب عمل به الخليفة، فقد ذكر ياقوت: ((فلما أجمع على قتله أنفذ إليه أنت كنت عرفتنا عن الحكماء أنهم قالوا لا يجب للملوك أن يغضبوا فإذا غضبوا لا يجب لهم أن يرضوا ولولا هذا لأطلقتك لسالف ذمتك وخدمتك)) (ياقوت، ١٩٩٥م، ج١/ص٢٨٩). ثم يذكر ياقوت قصه طويله جدا يطول ذكرها ولكن اهم ما جاء بها هو لعن الخليفة المعتضد لأحمد بن الطيب ((أتدري ما أراد أحمد بن الطيب لعنه الله بهذا الحديث فقلت لا يا أمير المؤمنين فقال إنما أراد أن سبيل موسى عليه السلام في العصا كسبيل هذا الرجل في الحجر – أي التنجيم بالحجر – وأن جميع ذلك بحيلة وكان ذلك من اكثر ما نقمه عليه)) (ياقوت، ١٩٩٥م، ج١/ص٢٨٩-٢٩٠). قال الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ((ثم إن المعتضد انتخى لله وقتل السرخسي لفلسفته وخبث معتقده فقيل إنه تنصل إليه وقال قد بعت كتب الفلسفة والنجوم والكلام وما عندي سوى كتب الفقه والحديث فلما خرج قال المعتضد والله إني لأعلم أنه زنديق فعل ما زعم رياء)) (الذهبي، ٢٠٠٦م، ج١٠/ص٤٧١).

ان مقتل السرخسي ونقمة الخلافة عليه أدى الى ضياع مصنفاته ولم يصل الينا سوى كتاب واحد عنوانه ((ادب النفس المستخرج من كلام سيد العرب والعجم)) (السرخسي، ١٩٩٦م). اما كتابه (فضائل بغداد) فقد كان من جملة الكتب الضائعة وبذلك يصعب الجزم بمادته وابوابه ولا نعلم ان كان موضوعة تراجم من دخل بغداد من المحدثين، او ان ابوابه تخص الجانب الخططي او تتناول اتخاذها عاصمة من قبل الخلفاء العباسيين في حين ما هو مؤكد ان السرخسي توفي سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م) وان مصنفه هذا من ضمن ادبيات القرن الثالث الهجري (ابن العديم، د/ت، ج٢/ص٣٤٦).

٢- كتاب فضائل بغداد وصفاتها ليزدجر بن مهينداذ الكسروي (ت بحدود ٢٩٠هـ/٩٠٢م).

لعل من اهم عناصر قوة الحضارة الإسلامية واثرها على الأمم والشعوب هو ان حواضرها تشكل جزء من ثقافة واهتمام المنصهرين فيها وكان يزدجر نموذجا لذلك وهو يزدجرد بن مهبندان وقيل مهبندار بالراء الكسروي (البابانى، ١٩٥٥م، ج٢/ص٥٣٥). من أولاد الأكاسرة قدم بغداد ونشأ بها وحصل بها العلم والأدب (الصفدي، ٢٠٠٠م، ج٢٨/ص٦). قال ابن النديم (٣٨٠هـ/٩٩٠م) ((في أيام المعتضد)) (ابن النديم، ١٩٧١م، ص١٤٢). وقال التنوخي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م) في نص ((وذكرت انا كتابا رأيته لرجل يعرف بيزدجرد بن مهبندان الكسروي كان على عهد المقتدر)) (التنوخي، ١٣٩١هـ، ج٧/ص٢٠٧، الهامش). وقال الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) في ترجمة اخية سهلون ((وكانا ببغداد أيام المقتدر)) (الصفدي، ٢٠٠٠م، ج١٦/ص١٧). وقال البابانى (ت١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) ((من كتاب المعتضد بالله العباسي)) (البابانى، ١٩٥٥م، ج٢/ص٥٣٥). ليس لدينا معلومات دقيقة سواء عن وفاته او ولادته لذلك فمن الممكن انه قد عاش في عهد الخليفتين.

وقد ورد عند ابن الفقية الهمداني نقلا عن التنوخي ما نصه ((وممن وصف بعلم النجوم سهلون ويزدجرد من علماء الإسلام فيما ذكره التنوخي .... قال: ان ببغداد في أيام المقتدر إخوان كهلان فاضلان وعندهما من كل فن مليح، وهما من أحرار فارس. قد نشأ ببغداد وتأدبا بها وتعلما علوما كثيرة يقال لأحدهما سهلون وللآخر يزدجرد ابنا مهمندار الكسروي. ويعرفان بذلك لانتسابهما إلى الأكاسرة. وكانا ذوي نعمة قديمة وحالة ضخمة وكنت ألزمهما على طريق الأدب. وكان ليزدجرد منهما كتاب حسن ألّفه في صفة بغداد وعدد سككها وحماماتها....)) (ابن الفقية، ١٩٩٦م، ص١٧). ولعل ما يهمنا من هذا النص ان مصنف الكتاب يزدجر كان من احرار فارس وانه تلقى علومه في بغداد وان اسرته كانت ميسورة كذلك يظهر جليا ان كتاب يزدجر عن فضائل بغداد هو كتاب خططي مادة صفة بغداد وسككها ومنشأتها الخدمية مثل الحمامات والاسوار، وان الكتاب ليس مهتم بالتراجم على ما يبدو مثل كتاب الخطيب البغدادي وابن عساكر عندما يترجمان لكل من حدث ببغداد ودمشق.

وحول تلاميذه لم يذكر أيضا شيء بشكل واضح عن تلاميذ له ولكن جاء في نص عند الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) قال: ((ذكر أبو أحمد عبد الله بن محمد الخازني أنه قرأ عليه أكثر مصنفاته ببغداد وروى عنه أيضا عثمان بن محمد بن إبراهيم المادرائي)) (الصفدي، ٢٠٠٠م، ج٢٨/ص٦). اما مصنفاته (كتاب فضائل بغداد وصفتها)، وكتاب اخر قال عنه ابن النديم (كتاب الدلائل على التوحيد من كلام الفلاسفة كبير رايته بخطه) (ابن النديم، ١٩٧١م، ص١٤٢). وكان له شعر كثير، لم يذكر له سوى مصنفين عند ابن النديم واغلب المصادر قد اخذتها من فهرست ابن النديم. اما ما يخص مذهبه كذلك لم يذكر اي شيء حول مذهبه ولا عن الديانة التي كان يتبعها، ان هذا الغموض عن حياته يشير الى حداثه تواجد اسرته في بغداد وان اسمه واسم ابيه يشير الى اصالة جذوره الفارسية ورغم ذلك كتب عن بغداد وفضائلها لحادث طراء له وهو علاقته مع الخلافة العباسية.

ورغم ما يشير الى وجود علاقة بشكل مباشر وصريح بالسلطة العباسية الا ان هناك بعض النصوص تتحدث عن ذلك لكن بشكل مقتضب جدا قال الباباني ((من كتاب المعتضد بالله العباسي)) (الباباني، ١٩٥٥م، ج٢/ص٥٣٥). ((وكان هو وأخوه ينشدان الشعر الجيد لأنفسهما وسهلون بن مهمندار كان لزم بعض الرؤساء وعمل له رسائل وقصائد)) (التنوخي، ١٣٩١هـ، ج٧/ص٢٠٨. فقد تكون علاقته مع السلطة من علاقات أخيه.

اما وفاته فلم نجد سنة او مكان الوفاة الا نص واحد ولم يذكر غيره جاء انه توفي في حدود سنة (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م) (الباباني، ١٩٥٥م، ج٢/ص٥٣٥). ورد النص في كتاب هدية العارفين، ولم نجد ما سبقه في هذه المعلومة وهو من انفرادات الباباني في هذا الجانب.

ولعل ما يفيد البحث مناقشة عنوان (فضائل بغداد وصفاتها) ليزدجر هو من العناوين التي ظهرت في عهد الخليفة المعتضد (٢٤٢ – ٢٨٩هـ/٨٥٦ – ٩٠٢م) وهذا يؤكد ان من دوافع تصنيف الكتاب هو علاقة يزدجر مع الخليفة، كذلك نجد ان هذا الكتاب الثاني الذي ظهر لدينا عن فضائل بغداد في عهد الخليفة المعتضد بعد كتاب (فضائل بغداد) لأحمد بن الطيب السرخسي (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م) (ابن النديم، ١٩٧١م، ص٣٢١؛ ابن ابي اصيبعة، د/ت، ص٢٩٤).

وكان قد ورد عند ابن الفقيه الهمداني (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م)، في كتابه البلدان إشارات حول مادة الكتاب ومواضيعه اذ قال ان فضائل بغداد ((من تأليف يزدجرد بن مهبندان الكسروي .قال عنه ابن النديم إنه عاش في أيام المعتضد وله من الكتب :كتاب فضائل بغداد وصفتها.... رأيته بخطه)) (ابن الفقيه، ١٩٩٦م، ص١٦). ثم يستطرد ابن الفقيه بقوله عن كتابه – أي فضائل بغداد – قال القاضي التنوخي تجارينا عند القاضي أبي الحسن محمد بن صالح بن علي الهاشمي، سنة ستين وثلاثمائة عظم بغداد وكثرة أهلها في أيام المقتدر....

وذكرت أنا كتابا رأيته لرجل يعرف بيزدجرد بن مهبندان الكسروي كان على عهد المقتدر بحضرة أبي محمد المهلبي، كان سلم إلى وإلى جماعة ممن حضر، كراريس منه لننسخه وننفده إلى الأمير ركن الدولة، لأنه التمس كتابا في وصف بغداد وإحصاء ما فيها من الحمامات وأنها كانت عشرة آلاف، ذكر في الكتاب مبلغها وعدد من يحتوي عليه البلد من الناس والسفن والملاحين وما يحتاج إليه في كل يوم من الحنطة والشعير والأقوات (ابن الفقيه، ١٩٩٦م، ص١٦-١٧). ثم يعلق ابن الفقيه انه لا يوجد تعارض على ما ذكره ابن النديم أي يزدجر عاش في عصر المعتضد فمن ((الممكن أن يكون قد عاش في العهدين)) (ابن الفقيه، ١٩٩٦م، ص١٧).

ويتضح مما سبق ان الكتاب في موضوعه هو كتاب في خطط بغداد ومحلاتها ودروبها، فضلا عن عدد سكانها والاعمال والمهن فيها، وكذلك يظهر مما سبق ان الكتاب كان يتم استنساخه وتداول معلوماته، وان الكتاب كان في عهد المعتضد وبتشجيع من الأمير البويهي ركن الدولة وان الحاجة اليه من حيث معلوماته كانت أكثر من كونه كتاب يتحدث عن فضائل معنوية، من وجود صحابه او مساجد او مكان مقدس عند المسلمين.

وحول عنوان المصنف جاء المصنف بثلاث عناوين الأول والأكثر تداولا في المصادر هو ((كتاب فضائل بغداد وصفتها)) (ابن النديم، ١٩٧١م، ص١٤٢). والثاني ((فضائل بغداد وأخباره)) (الباباني، ١٩٥٥م، ج٢/ص٥٣٥). والثالث ((فضائل بغداد العراق)) (يزدجرد ١٩٦٢م، واجهة الكتاب). نرى الاختلاف في العناوين الثلاث لكن حملت جميعها كلمة فضائل وأيضا كلمة بغداد وكان الاختلاف في الجزء الأخير من العناوين وتفسير العنوان الأول انه بقوله (وصفتها)، وذلك لأنه وصف الحمامات والطرق الخاصة ببغداد وقد يكون ابن النديم اطلع على الجزء الكامل من المصنف لان الذي وصل الينا هو جزيء من المصنف فقط.

اما العنوان الثاني جاء به (واخباره)، ولعل كلمة اخباره تعود الى ذكر المصنف بعض اخبار الخليفة المعتضد بالله (٢٤٢- ٢٨٩هـ/ ٨٥٦-٩٠٢م)، خاصه ان مصنف الكتاب قد صنف هذا الكتاب بطلب من الأمير ركن الدولة البويهي ((لأمير المؤمنين المعتضد بالله صلوات الله عليه فقد أكثر الناس في بغداد العراق اكثارا لم يعطونا فيه دليل ولا افادونا به محصولا واقتصروا على ان يقولوا بلد لا يشبه البلدان ولا كان مثله في قديم الازمان)) (يزدجرد، ١٩٦٢م، ص١٤).

ثم عنوان فضائل بغداد العراق لعل المحقق هو من وضع في العنوان العراق لان الكتاب ضائع على قول المحقق ((واصل كتاب فضائل بغداد العراق ضائع اليوم على ما تحقق عندنا ..... ولم ينته الينا منه سوى هذا الفصل الذي نعني بنشره اليوم)) (يزدجرد، ١٩٦٢م، مقدمة المحقق، ميخائيل عواد). لذلك قد وضع العراق نتيجة الانتماء الوطني للمحقق.

وقد وصف المحقق هذا الجزء من المصنف بقولة ((أسهب يزدجرد في هذا الفصل في الكلام على حمامات بغداد يوم ذاك وما ورد بشأنها من اقوال ومبالغات كما أشار الى المنازل والمساجد والطرازات، والظاهر ان المؤلف وصف بغداد واحصاء ما فيها من حمامات وقدر ما يحتاج الية كل حمام من القوام الذين لا قوام له الا بهم ولكل حمام كذا من المنازل حيث يتبين من ذلك عدد من يحتوي علية البلد من الناس)) (يزدجرد، ١٩٦٢م، مقدمة المحقق، ميخائيل عواد) هنا المحقق في القسم الأول من النص يشير انه يزدجرد أراد اظهار المبالغات التي تقال عن الحمامات ان ذاك ثم قام بوصف المدينة من منازل ومساجد. ثم في القسم الثاني من النص يظهر ان يزدجرد كان يقوم بشبه عمليه إحصاء لعدد منازل بغداد وحماماتها والعاملين في هذه الحمامات ثم إحصاء عدد الناس في بغداد في ذاك العصر.

وحول الكتاب أيضا قال التنوخي ((وكان ليزدجرد كتاب حسن ألّفه في صفة بغداد وعدد سككها وحماماتها وشوارعها وما تحتاج إليه في كل يوم من الأقوات والأموال وما تحتوي عليه من الناس)) (التنوخي، ١٣٩١هـ، ج٧/ص٢٠٨). ونص التنوخي هذا قد يكون الأقرب لوصف المصنف لان التنوخي هو قد يكون الأقرب لعصر يزدجرد ممن ترجم له كون التنوخي توفي في سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م).

وقال التنوخي أيضا ((وذكرت أنا كتابا رأيته لرجل يعرف بيزدجرد بن مهبندان الكسروي كان على عهد المقتدر بحضرة أبي محمد المهلبي كان سلم إلي وإلى جماعة ممن حضر كراريس منه لننسخه وننفذه إلى الأمير ركن الدولة لأنه التمس كتابا في وصف بغداد وإحصاء ما فيها من الحمامات وإنها كانت عشرة آلاف ذكر في الكتاب مبلغها وعدد من يحتوي عليه البلد من الناس والسفن والملاحين وما يحتاج إليه في كل يوم من الحنطة والشعير والأقوات وإنّه حصل ما يصل إلى أصحاب المعابر فيه من الملاحين فكان في كل يوم أربعين ألفا أو ثلاثين ألفا)) (التنوخي، ١٣٩١هـ، ج١/ص١٢٨-١٢٩).

وقال أيضا ((تجارينا عند القاضي أبي الحسن محمد بن صالح بن علي الهاشمي ابن أم شيبان في سنة ستين وثلاثمائة عظم بغداد وكثرة أهلها في أيّام المقتدر وما كان فيها من الأبنية والشوارع والدروب وكبر البلد وكثرة أهله في سائر أنواع الناس)) (التوخي، ١٣٩١هـ، ج١/ص١٢٨). ذكر هنا انه تكلم عن الكتاب في سنة (٣٦٠هـ) أي ان الكتاب كان متداول قبل سنة (٣٦٠هـ).

وممن نقل من المصنف ((وعن كتابه هذا فضائل بغداد نقل ابن الفقيه مقاطع طويلة جدا في إحصائيات تتعلق بعدد الحمامات والمساجد والسكك والشوارع وما يدخلها من الأقوات يوميا وما يباع فيها)) (ابن الفقيه، ١٩٩٦م، ص١٧). وهذا النص قاله المحقق ((وهذا الفصل مما حذفه مختصر كتاب البلدان فأتحفتنا به نسختنا الكاملة)) (ابن الفقيه، ١٩٩٦م، ص١٧).

٣- كتاب فضل بغداد – أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري (ت٤١٠هـ/١٠٢٠م).

قبل الحديث عن الكتاب لابد من عرض سيرة وحياة المصنف وهو أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم البغدادي الغضائري (الذهبي، ١٩٩٣م، ج٢٨/ص٢٧٧). وما قيل عنه ((يوصف بزهد وورع وسعة علم يقال كان أحفظ الامامية لحديث أهل البيت.....)) (الذهبي، ٢٠٠٦م، ج١٣/ص٨٨). ((هو من طبقة الشيخ المفيد في الجلالة عند الإمامية يفتخرون بهما ويخضعون لعلمهما .....)) (الذهبي، ٢٠٠٦م، ج١٣/ص٨٨).

وعن ولادته لم نجد أي معلومات تخص ولادته سواء زمان او مكان الولادة فقط ذكر في اسمه انه بغدادي، ولكن من خلال شيخه ابن الجعابي (ت٣٥٥هـ/٩٦٥م) يمكن ان نخمن انه قد ولد بين سنة (٣٢٠هـ الى سنة ٣٤٠هـ).

ومن شيوخه ابو محمد سهل بن أحمد بن عبد الله بن سهل الديباجي (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، قالا الازهري والعتيقي مولده سنة تسع وثمانين ومائتين (الخطيب، ٢٠٠٢م، ج١٠/ص١٧٧). ومن شيوخه أيضا أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سالم بن البراء بن سبرة بن سيار التميمي قاضي الموصل المعروف بابن الجعابي (ت٣٥٥هـ/٩٦٥م) (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٢م، ج٤/ص٤٢-٤٩؛ الذهبي، ٢٠٠٦م، ج١٢/ص١٨١؛ الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٦/ص٣١١). وأبو بكر الجعابي هذا هو أحد تلاميذ ابي العباس احمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة (ت ٣٣٢هـ/٩٤٣م)، صاحب مصنف فضل الكوفة (الخليلي، ١٤٠٩هـ، ج٢/ص٥٧٩؛ الخطيب، ٢٠٠٢م، ج٦/ص١٤٧-١٤٨).

كذلك ومن شيوخه أيضا أبو المفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله الشيباني الكوفي (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م) (الخطيب، ٢٠٠٢م، ج٣/ص٤٩٩). وهو أيضا أحد شيوخ محمد بن علي العلوي (ت٤٤٥هـ/١٠٥٣م)، صاحب مصنف فضل الكوفة وفضل أهلها [٤] (الذهبي، ٢٠٠٦م، ج١٣/ص٢٦٠).

واما تلاميذه أبو العباس، احمد بن علي بن احمد النجاشي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) صاحب مصنف الكوفة وما فيها من الاثار والفضائل وقد مرت ترجمته (النجاشي، ٢٠١٠م، ص٩٨؛ الزركلي، ٢٠٠٢م، ج١/ص١٧٢). وهذا ما يؤكد ان النجاشي قد تأثر بشيخة في تصنيف كتاب الفضائل فكان شيخة قد صنف فضائل بغداد وهو قد صنف فضائل الكوفة.

ومن شيوخه وأيضا أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، قدم بغداد [٦] (الذهبي، ٢٠٠٦، ج١٣/ص٤٥٠). من خراسان سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م وأقام أربعين سنة ورحل إلى الغري بالنجف فاستقر إلى أن توفي [٧] (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٦/ص٨٤).

((تفقه على الشافعي ثم أخذ الكلام وأصول القوم عن الشيخ المفيد رأس الإمامية ولزمه وعمل التفسير وأملى أحاديث ونوادر في مجلدين عامتها عن شيخه المفيد وقد أحرقت كتبه عدة نوب في رحبة جامع القصر ..... وكان يسكن بالكرخ ثم تحول إلى الكوفة وأقام بالمشهد يفقههم وكان يعد من الأذكياء)) (الذهبي، ٢٠٠٦م، ج١٣/ص٤٥٠).

وله عدد من المصنفات مثل (أسماء الرجال)، (فهرست كتب الشيعة) (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٦/ص٨٤-٨٥). وقد اعتمد علية في التراجم في ذكر كتب الكوفة، وغيرها من المصنفات (الذهبي، ٢٠٠٦م، ج١٣/ص٤٥٠؛ الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٦/ص٨٤-٨٥).

وله من المصنفات (كشف التمويه والغمة)، (التسليم على امير المؤمنين بأمرة المؤمنين)، (تذكير العاقل وتنبيه الغافل في فضل العلم)، (عدد الائمة وما شذ على المصنفين من ذلك)، (البيان عن حبوة الرحمن)، (النجاشي،٢٠١٠م، ص٦٨). (البيان عن حياة الإنسان) (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٢/ص ٢٤٣). ولعله نفس الكتاب فقط الاختلاف في الجزء الأخير من العنوان. (النوادر في الفقه)، (مناسك الحج)، (مختصر مناسك الحج)، (يوم الغدير)، (الرد على الغلاة والمفوضة)، (سجدة الشكر)، (مواطن امير المؤمنين)، (في قول امير المؤمنين الا اخبركم بخير هذه الامة)، (فضل بغداد) (النجاشي، ٢٠١٠م، ص٦٨).

له خمس عشر مصنف أحدهم فيه شك في التشابه بالعنوان، كان ثلاث من هذه المصنفات عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (علية السلام)، ومصنفين في الفضل ((فضل بغداد)) ((وفضل العلم)) ومصنف في الردود على الفرق ومصنف عن الائمة وعددهم والمصنفات الأخرى تعود الى العلوم الدينية بفروعها المختلفة.

وعن مذهبه قال الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، كان أحد شيوخ الامامية وعالمهم (الذهبي، ١٩٩٣م، ج٢٨/ص٢٧٧؛ الذهبي، ١٩٩٣م، ج١٣/ص٨٨) شيخ الإمامية في عصره (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٢/ص٢٤٣). من علماء وفقهاء الامامية (كحالة، د/ت، ج٤/ص٢٥).

اما عن علاقته بالسلطة ان ذاك لم نجد في المصادر شيء يذكر عن هذا الامر.

وحول وفاته قال النجاشي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ((ومات في نصف شهر صفر سنة احدى عشرة وأربعمائة)) (لنجاشي، ٢٠١٠م، ص٦٨-٦٩). ((مات في صفر سنة إحدى عشرة وأربعمائة)) (الذهبي، ٢٠٠٦م، ج١٣/ص٨٨).

الخاتمة

– توصل البحث الى اظهار المصنفات الضائعة من التراث الإسلامي الخاص بفضائل مدينة بغداد على الرغم من قله عددها مقارنه بمدن أخرى من مدن العراق مثل الكوفة، كنموذج يقاس عليه.

– عرض اهم المصنفين وأبرز مصنفاتهم التي تحدثوا فيها عن مدينة بغداد وإظهار فضائلها من خلال تلك المصنفات والتي لم تصل الينا وهي جميعها ضائعة سوى مصنف واحد وهو كتاب فضائل بغداد وصفاتها ليزدجر الكسروي الذي منه حصلنا على فكره عن مدينة بغداد في عصره.

– أبرز البحث دور الخليفة المعتضد بالله من خلال دفع هؤلاء المصنفين للتصنيف عن فضائل بغداد للتخلص من مصنفات الفلاسفة والمعتزلة ان ذاك ومحاولة للحد من انتشار أفكارهم السائدة في عصره.

– تناول البحث حياة وسيرة مصنفين تلك الكتب الخاصة بفضائل بغداد من خلال ذكر شيوخهم وتلاميذهم ومصنفاتهم بشتى فروع العلم بالإضافة الى علاقتهم مع الخلافة العباسية، كذلك الكشف عن إثر شيوخهم في توجهاتهم بتصنيف هذا النوع من المعارف فضلا عن أثرهم في توجهات طلابهم بالتصنيف.

– لقد توصل البحث الى إحصاء ثلاث مصنفات عنوانها (فضائل بغداد) من أصل ١٤٧٧٧ عنوان ورد عند حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون الذي هو من اهم معاجم مصنفات التراث الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع

- احمد بن ابي طاهر طيفور.
- كتاب بغداد، ناشره: عزة العطار الحسيني.
- يزدجرد بن مهمندار الفارسي.
- فضائل بغداد العراق، تحقيق: ميخائيل عواد (مطبعة الارشاد، بغداد – ١٩٦٢م).
- ابي يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي.
- البلدان، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – ١٤٢٢هـ).
- أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت – ١٩٩٢م).
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه.
- البلدان، تحقيق: يوسف الهادي (ط١، عالم الكتب، بيورت – ١٩٩٦م).
- أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق بن محمد بن إسحق الوراق المعروف بالنديم.
- الفهرست، تحقيق: رضا تجدد (طبعة طهران، ١٩٧١م).
- أبو علي المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري.
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي المحامي (دار صادر، بيروت).
- أبو العباس احمد بن علي بن احمد بن العباس النجاشي الاسدي الكوفي.
- رجال النجاشي، (ط١، الاعلمي للمطبوعات، بيروت – ٢٠١٠م).
- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي.
- تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف (ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت – ٢٠٠٢م).
- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي.
- معجم البلدان، (ط٣، دار صادر، بيروت – ١٩٩٥م).
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الادباء)، تحقيق: احسان عباس (ط١، دار لغرب الإسلامي، بيروت – ١٩٩٣).
- عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي كمال الدين ابن العديم.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار (دار الفكر).

❖ أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس ابن أبي أصيبعة.
– عيون الانباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا (دار مكتبة الحياة، بيروت).
❖ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي.
– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (ط١، دار صادر، بيروت).
❖ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى.
– لسان العرب، تحقيق: اليازجي وجماعة من اللغويين (ط٣، دار صادر، بيروت – ١٤١٤هـ).
❖ شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.
– سير اعلام النبلاء، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي (دار الحديث، مصر – ٢٠٠٦م).
– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري (ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت – ١٩٩٣).
❖ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي.
– الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (دار احياء التراث، بيروت – ٢٠٠٠م).
❖ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي.
– تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش (ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٤م).
❖ إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني.
– هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (وكالة المعارف، إسطنبول، ١٩٥٥م).
❖ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس.
– الزركلي الدمشقي، الاعلام، (ط١٥، دار العلم الملايين – ٢٠٠٢م).
❖ عمر رضا كحالة.
– معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت.
❖ توفيق وهبي.
– القصد والاستطراد في أصول معنى بغداد، (مطبعة الرابطة، بغداد – ١٩٥٠م).
❖ بشير فرنسيس.
– بغداد تاريخها واثارها، (ط١، مطبعة الرابطة، بغداد – ١٩٥٩م).

List of sources and references

- Ahmed bin Abi Taher Tayfour. - Baghdad Book, published by: Azza Al-Attar Al-Husseini.
- Yazdgerd bin Mahmandar Al-Farsi. - The Virtues of Baghdad, Iraq, edited by: Mikhail Awad (Al-Irshad Press, Baghdad - 1962 AD).
- Abu Yaqoub Ahmad bin Ishaq bin Jaafar bin Wahb bin Wadh Al-Yaqoubi. - Albuldan, (1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - 1422 AH).
- Abu Bakr Muhammad bin Al-Qasim bin Muhammad bin Bashar Al-Anbari. - Al-Zahir fi maane klemat alnas, edited by: Hatem Saleh Al-Damen (1st edition, Al-Resala Foundation, Beirut - 1992 AD).
- Abu Abdullah Ahmed bin Muhammad bin Ishaq Al-Hamdani, known as Ibn Al-Faqih.
  - Albuldan, edited by: Youssef Al-Hadi (1st edition, Alam Al-Kutub, Purit - 1996 AD).
- Abu Al-Faraj Muhammad bin Abi Yaqoub Ishaq bin Muhammad bin Ishaq Al-Warraq, known as Al-Nadim.
  - Al-Fihrist, edited by: Reza Tajadid (Tehran Edition, 1971 AD).
- Abu Ali Al-Muhsin bin Ali bin Muhammad bin Abi Al-Fahm Daoud Al-Tanukhi Al-Basri.
  - Nashwar Almuhadra and akhbar almuzakra , edited by: Aboud Al-Shalji, the lawyer (Dar Sader, Beirut).
- Abu Al-Abbas Ahmed bin Ali bin Ahmed bin Al-Abbas Al-Najashi Al-Asadi Al-Kufi. - Rijal alnajashi, (1st edition, Al-Alami Publications, Beirut - 2010 AD).
- Abu Bakr Ahmed bin Ali bin Thabit Al-Khatib Al-Baghdadi.
  - tarikh baghdad, edited by: Bashar Awad Marouf (1st edition, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut - 2002 AD).
- Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah al-Rumi al-Hamawi.
  - Muejam albildan, (3rd edition, Dar Sader, Beirut - 1995 AD).
  - Iirshad al'arib 'iilaa maerifat al'adib (muejam aliadiba'i), edited by: Ihsan Abbas (1st edition, Dar Lagharb Al-Islami, Beirut - 1993).
- Omar bin Ahmed bin Hebatullah bin Abi Jarada Al-Uqaili Kamal Al-Din Ibn Al-Adim.
  - Bughyat altalab fi tarikh halba, edited by: Suhail Zakkar (Dar Al-Fikr)

- Ahmed bin Al-Qasim bin Khalifa bin Yunus Al-Khazraji Muwaffaq Al-Din Abu Al-Abbas Ibn Abi Usaibah.
  - Euyun alainiba' fi tabaqat al'atibaa'i, tahqiqu by: Nizar Reda (Hayat Library House, Beirut).
- Abu Abbas Shams al-Din Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim bin Abi Bakr bin Khalkan al-Barmaki al-Irbali.
  -Wafayat al'aeyan wa'anba' 'abna' alzamani , edited by: Ihsan Abbas (1st edition, Dar Sader, Beirut).
- Muhammad bin Makram bin Ali, Abu Al-Fadl, Jamal Al-Din Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ruwaifa'i Al-Ifriqi.
  - Lisan al-Arab, edited by: Al-Yaziji and a group of linguists (3rd edition, Dar Sader, Beirut - 1414 AH).
- Shams al-Din, Muhammad bin Ahmed bin Othman al-Dhahabi.
  - Sayar aealam alnubala'I , edited by: Muhammad Ayman Al-Shabrawi (Dar Al-Hadith, Egypt - 2006 AD).
  - Tarikh al'iislam wawafayaat almashahir wal'aealami , edited by: Omar Abdel Salam Al-Tadmuri (2nd edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut - 1993).
- Salah al-Din Khalil bin Aibak bin Abdullah al-Safadi.
  - Al-Wafi bi al-Wafiyyat, edited by: Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa (Dar Ihya Al-Turath, Beirut - 2000 AD).
- Abdul Rahman bin Abi Bakr Jalal al-Din al-Suyuti.
  tarikh alkhulafa'I , edited by: Hamdi Al-Demerdash (1st edition, Nizar Mustafa Al-Baz Library, 2004 AD).
- Ismail Pasha bin Muhammad Amin bin Mir Salim Al-Babani.
  - hadiat alearifin 'asma' almualifin wathar almusanafina (Al-Ma'arif Agency, Istanbul, 1955 AD).
- Khairuddin bin Mahmoud bin Muhammad bin Ali bin Fares Al-Zirakli Al-Dimashqi,
  - Al-A'lam, (15th edition, Dar Al-Ilm Al-Millain - 2002 AD).
- Omar rida kahalatin
  - Muejam almualifina Al-Muthanna Library, Beirut.
- Tawfiq Wehbe.
  - Alqasd waliaistitrad fi 'usul maenaa baghdada, (Al-Rabita Press, Baghdad - 1950 AD).
- Bashir Francis.
  - Baghdad tarikhuha watharuha (1st edition, Al-Rabita Press, Baghdad - 1959 AD).